بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: 70، 71].

أما بعد؛

فهذا الكتاب يتحدث عن شخصية عثمان بن عفان رضي الله عنه وعصره، وهو امتداد لما سبقه من كتب تحدثت عن الصدّيق والفاروق، تبحث في دراسة عهد الخلفاء الراشدين لكي نستخرج الدروس والعبر، ونستوعب السنن والقوانين الإلٰهية في حركة المجتمعات، وبناء الدول، ونهضة الشعوب، وتربية القادة، والأفراد العاملين لنشر دين الله بين الناس.

إن عودة الأمة لما كانت عليه في قيادتها للبشرية منوطة بسيرها على هدي النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، فقد أخبر الحبيب المصطفى ﷺ عن المراحل التاريخية التي تمر بها الأمة في مسيرتها في الحياة، فقال ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها. ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**»[1].

(1) المسند (4/ 273)؛ البزار رقم (1588) رجاله ثقات.

إن معرفة عهد الخلافة الراشدة ومنهاج النبوة خطوة لابد منها في تحقيق الأهداف التي تسعى الأمة لتحقيقها في هذه الحياة؛ فقد قال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[1].

إن تاريخ عصر الخلفاء الراشدين مليء بالدروس والعبر، وهي متناثرة في بطون الكتب والمصادر والمراجع سواء كانت تاريخية أو حديثية أو فقهية أو أدبية أو تفسيرية، فنحن في أشد الحاجة لجمعها وترتيبها وتوثيقها وتحليلها، فتاريخ الخلافة الراشدة إذا أحسن عرضه يغذي الأرواح، ويهذب النفوس، وينوّر القلوب، ويبني العقول، ويشحذ الهمم، ويقدم الدروس، ويسهل العبر، وينضج الأفكار، ويوضح معالم هذه الخلافة، وصفات قادتها، ونظام حكمها، وأخلاق جيلها، وعوامل ازدهارها، وأسباب زوالها، فنستفيد من ذلك في إعداد الجيل المسلم الذي يتربى على منهاج النبوة وفقه الخلافة الراشدة، ونتعرف على حياة عصر مَن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: 100].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: 29].

وقال فيهم رسول الله ﷺ: «**خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم...**»[2].

وقال فيهم عبد الله بن مسعود: من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم[3]. فالصحابة قاموا بتطبيق

(1) سنن أبي داود (4/ 201)؛ الترمذي (5/ 44) حسن صحيح.

(2) مسلم (4/ 1963، 1964).

(3) شرح السنة للبغوي (1/ 214، 215).

أحكام الإسلام ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها فعصرهم خير العصور، فهم الذين علّموا الأمة القرآن الكريم، ورووا السنن والآثار عن رسول الله ﷺ، فتاريخهم هو الكنز الذي حفظ مدخرات الأمة في: الفكر والثقافة والعلم والجهاد، وحركة الفتوحات والتعامل مع الشعوب والأمم، فتجد الأجيال في هذا التاريخ المجيد ما يعينها على مواصلة رحلتها في الحياة على منهج صحيح، وهدي رشيد، وتعرف من خلاله حقيقة رسالتها ودورها في دنيا الناس.

إن التاريخ الإسلامي أصبح غرضاً ومرمى لسهام أعداء الإسلام على مختلف مذاهبهم وعقائدهم، ويحاولون أن يوجدوا فجوة في الإسلام وتاريخه الزاهر، حتى يتسنى لهم عزل الأجيال عن الإسلام وعقيدته وشريعته وقيمه وتراثه العلمي، ولذلك يبذلون قصارى جهدهم لنفث السموم في المجتمع الإسلامي.

لقد حاول المستشرقون على مختلف مشاربهم أن ينشروا كل رواية باطلة تنقص من شأن الصحابة الكرام، وتطعن في تاريخ الأمة المجيد، وتصور تاريخهم بأنه صراع على السلطة والسيادة والنفوذ، ولذلك يجب الحذر من كل مؤرخ كاذب، ومستشرق حاقد، وعلماني جاهل، وكل مَن سار على نهجهم، ولابد من الدفاع المستميت عن تاريخنا الخالد والهجوم الشجاع على مناهج الكذابين والمنحرفين، ويكون هذا الهجوم المبارك بقذائف الحق العلمية المملوءة بالحقائق الساطعة والأدلة القاطعة والبراهين الدامغة.

إن صياغة التاريخ الإسلامي بمنهج أهل السنة والجماعة ضرورة ملحة لأبناء الأمة، وقد بدأت أقلام الباحثين والكتّاب تصوغ التاريخ من هذا المنظور، وهم لم يبدأوا من فراغ، لأن الله حمى دينه وحمى أمة الإسلام فقيّض لتاريخ الصحابة مَن يحقق وقائعه ويصحح أخباره، ويكشف الستر عن الوضّاعين والكذابين من ملفقي الأخبار ويرجع الفضل في ذلك الجهد العظيم إلى الله ثم أهل السنة والجماعة من أئمة الفقهاء والمحدثين الذين حفلت مصادرهم بالكثير من الإشارات والروايات الصحيحة التي تنقض وترد كل ما وضعه الملفقون[1].

(1) المنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، د. محمد محزون، ص(4).

هذا وقد سرت على أصول منهج أهل السنة، فعكفت على المصادر والمراجع القديمة والحديثة، ولم أعتمد في دراسة عصر الخلفاء الراشدين على الطبري وابن الأثير والذهبي وكتب التاريخ المشهورة فقط؛ بل رجعت إلى كتب التفسير، والحديث وشروحها، وكتب العقائد والفِرَق، وكتب التراجم والجرح والتعديل، وكتب الفقه، فوجدت فيها مادة تاريخية غزيرة يصعب الوقوف على حقيقتها في الكتب التاريخية المعروفة والمتداولة، وقد شرعت في هذا الكتاب بالحديث عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**وأصدقها حياءً عثمان**»[1]. وقال فيه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك بعد تقديمه النفقة العظيمة: «**ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم، ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**»[2]، وقد بشّره رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبه[3]، وحثّ الناس عند وقوع الفتنة أن يكونوا مع عثمان وأصحابه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ: «**إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً ـ أو اختلافاً وفتنة**» فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: «**عليكم بالأمين وأصحابه**» وهو يشير إلى عثمان»[4].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبي ﷺ لا يعدلون بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم[5].

وقد قال فيه الشاعر النُّميري:

عشية يدخلون بغير إذنٍ ... على متوكل أوفى وطابا

خليل محمد ووزير صدقٍ ... ورابعُ خيرِ مَن وطىء الترابا[6]

---

(1) فضائل الصحابة لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (1/ 604) إسناده صحيح.

(2) سنن الترمذي رقم (3785).

(3) البخاري رقم (3695).

(4) فضائل الصحابة (1/ 550) إسناده صحيح.

(5) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم (3698).

(6) البداية والنهاية (7/ 206).

وقال فيه أبو محمد القحطاني:

لـمّـا قـضـى صـدِّيـق أحـمـد نَـحـبَـهُ ... دفـع الـخـلافـة لـلإمـام الـثـانـي
أعـنـي بـه الـفـاروق فـرَّق عُـنـوةً ... بـالـسـيـف بـيـن الـكـفـر والإيـمـانِ
هـو أظـهـر الإسـلام بـعـد خـفـائـه ... ومـحـا الـظـلام وبـاح بـالـكـتـمـان
ومضى وخلَّى الأمر شورى بينهم ... في الأمر فاجتمعوا على عثمان
مَـن كـان يـسـهـر لـيـلـة فـي ركـعـةٍ ... وتـراً فـيـكـمـل خـتـمـة الـقـرآنِ

إلى أن قال:

والـويـل لـلـركـب الـذيـن سـعـوا إلـى ... عثمان فاجتمعوا على العصيانِ[1]

إن حياة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه صفحة مشرقة في تاريخ الأمة، وقد قمت بتتبع أخباره وحياته وعصره، وقمت بترتيبها وتنسيقها وتوثيقها وتحليلها لكي تصبح في متناول أبناء أمتي على مختلف طبقاتهم من علماء ودعاة وخطباء، وساسة ومفكرين، وقادة جيوش، وحكام، وطلاب علم، وعامة الناس، لعلهم يستفيدون منها في حياتهم، ويقتدون بها في أعمالهم فيكرمهم الله بالفوز في الدا ين.

لقد تحدثت في هذا الكتاب عن اسم ذي النورين ونسبه وكنيته وألقابه وأسرته ومكانته في الجاهلية، وإسلامه، وزواجه من رقية بنت رسول الله ﷺ، وابتلائه وهجرته للحبشة، وعن حياته مع القرآن الكريم، وملازمته للنبي ﷺ، وعن مواقفه في غزوات رسول الله ﷺ، وعن حياته الاجتماعية بالمدينة، ومساهمته الاقتصادية في بناء الدولة، وتتبعت أحاديث رسول الله ﷺ في ذي النورين فيما ورد في فضائله مع غيره، وما ورد عن رسول الله ﷺ في أخباره عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان، وتكلمت عن مكانته في عهد الصدِّيق والفاروق، وبيّنت قصة استخلافه، وما قام به عبد الرحمن بن عوف من عمل عظيم في إشرافه على إدارة الشورى، ورددت على الأباطيل الرافضية التي دست في قصة الشورى، فأثبتُّ بطلانها وزيفها بالحجج العلمية والبراهين القوية والأدلة المنطقية، وذكرت أقوال أهل العلم في أحقية عثمان بالخلافة وانعقاد الإجماع على خلافته، وشرحت منهج عثمان رضي الله عنه في نظام الحكم من خلال رسائله للولاة وأمراء

(1) نونية القحطاني، ص(21 ـ 25).

الجند وعامة الناس، ومواقفه في الحياة، فقد وضح رضي الله عنه المرجعية العليا للدولة، وحق الأمة في محاكمة الخليفة، وقواعد الشورى والعدل والمساواة والحريات، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة المجتمعات.

وقد أشرت إلى أهم صفات عثمان رضي الله عنه القيادية وذكرت تسع عشرة صفة من صفاته مع المواقف الدالة على تلك الصفات الرفيعة، والأخلاق الحميدة، وتحدثت عن المؤسسة المالية فبيّنت معالم السياسة المالية التي أعلنها عثمان عندما تولى الحكم، وأنواع النفقات العامة في عهده، كمصرف مرتبات الولاة، والجنود، والإنفاق على الحج، وتمويل إعادة المسجد النبوي، وتوسعة المسجد الحرام، وإنشاء أول أسطول بحري، وتحويل الساحل من الشعيبة إلى جدة، وتمويل حفر الآبار، ورواتب المؤذنين، وأشرت إلى أثر تدفق الأموال على الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، وإلى حقيقة العلاقة بين عثمان وأقاربه والعطاء من بيت المال، وتكلّمت عن مؤسسة القضاء وبعض الاجتهادات الفقهية لعثمان والتي أثرت في المدارس الفقهية فيما بعد، وجمعت فتوحات عثمان المتناثرة في كتب التاريخ، وقمت بترتيبها وتنظيمها وفق حركة الجيوش في المشرق، وبلاد الشام، وفي الجبهة المصرية، والشمال الإفريقي، واستخرجت من حركة الفتوح دروساً وعبراً وفوائد، كتحقق وعد الله للمؤمنين، وتطور فنون الحرب والسياسة، والاهتمام بحدود الدولة والحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو، وجمع المعلومات على الأعداء، وترجمت لبعض قادة الفتوح، كالأحنف بن قيس، وعبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، وسلمان بن ربيعة، وحبيب بن مسلمة الفهري رضي الله عنهم.

وأشدت بأعظم مفاخر عثمان في توحيده للأمة على قراءة المصحف العثماني، ووضحت المراحل التي مرت بها كتابة القرآن الكريم، وتحدثت عن الباعث على جمع القرآن في عهده، واستشارته لجمهور الصحابة، وعن عدد المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار، وفهم الصحابة لآيات النهي عن الاختلاف، وعن مؤسسة الولاة، وأقاليم الدولة في عهده، وسياسته مع الولاة وحقوقهم وواجباتهم، وأساليبه في متابعة ولاته ومراقبتهم والاطلاع على أخبارهم، وبيّنت حقيقة ولاة عثمان رضي الله عنهم وماذا لهم وماذا عليهم، وحقيقة علاقة عثمان بأبي ذر، وابن مسعود وعمار بن ياسر رضي الله عنهم جميعاً، وفصلت في أسباب فتنة مقتل عثمان وأهمية دراسة وقائع هذه الفتنة، وتحدثت عن كل

سبب من الأسباب في فقرة مستقلة، كالرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتوقف الفتوحات، والورع الجاهلي، وطموح الطامحين، وتآمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد الخليفة الراشد المظلوم، واستخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، وعن أثر السبئية في أحداث الفتنة والخطوات التي اتخذها عثمان رضي الله عنه لمعالجتها، كإرسال لجان تحقيق وتفتيش، وإرساله لكل الأمصار كتاباً شاملاً بمثابة إعلان عام لكل المسلمين، ومشورته لولاة الأمصار وإقامة الحجة على المتمردين، والاستجابة لبعض مطالبهم، وبيّنت ضوابط التعامل مع الفتن من خلال فقه عثمان رضي الله عنه، كالتثبت، ولزوم العدل والإنصاف، والحلم والأناة، والحرص على ما يجمع، ونبذ ما يفرق، ولزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام، واستشارة العلماء الربانيين، والاسترشاد بأحاديث رسول الله ﷺ في الفتن، ووصفت احتلال أهل الفتنة للمدينة، وحصارهم لعثمان ودفاع الصحابة عنه ورفضه لذلك، وذكرت مواقف الصحابة من مقتل عثمان رضي الله عنه وما ورد من أقوالهم في الفتنة.

إنَّ هذا الكتاب يبرهن على عظمة ذي النورين، ويثبت للقارئ الكريم بأنه كان عظيماً بإيمانه وبعلمه وبخُلُقه وبآثاره، وكانت عظمته مستمدة من فهمه وتطبيقه للإسلام، وصلته العظيمة بالله واتباعه لهدي الرسول الكريم ﷺ.

إن عثمان رضي الله عنه من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وبأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدعٍ عصمة، ولا متبرئ من زلة، ووجهَ الله الكريم لا غيره قصدت، وثوابَه أردتُ، وهو المسؤول في المعونة عليه، والانتفاع به، إنه طيِّب الأسماء، وسميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب الساعة الثانية من فجر يوم الأربعاء بتاريخ 8 من شهر ربيع الثاني لعام 1423هـ الموافق 18/ 6/ 2002م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً، ولعباده نافعاً، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل

مسلم يطلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: 19] .

وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: 2] .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللّهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلّا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصَّلَّابي

obeikandi.com